

متعة المتلقي في القصيدة الممنوعة بمرسوم.. سلطاني...؟! لابن الشاطئ

مديحة بشير الشريف. طالبة دكتوراه

جامعة أكلي محند أولحاج الجزائر-البويرة-

madihaacharif@gmail.com

إشراف: د/مليكة دحامية. أستاذة محاضرة أ

جامعة امحمد بوقرة الجزائر-بومرداس-

dehamniamalika@gmail.com

تاريخ القبول: 11-12-2018

تاريخ الاستلام: 08-09-2018

الملخص

تكتسب القصيدة مشروعية التأويل والتلقي، لما تحوي من مؤهلات نصية، تستدعي حضور المتلقي ليتفاعل مع بنيتها، ويبرز مكنوناتها، و"القصيدة الممنوعة بمرسوم..سلطاني...؟! لابن الشاطئ" تتسم بالبعد الجمالي والدلالي الذي يمتاز بالانفتاح على الماضي والحاضر والمستقبل...إلخ، هذا ما جعلنا نهتم بالمتلقي الذي يحاول قراءة النص الشعري قراءة واعية تهدف إلى الوصول إلى المعنى.

الكلمات المفتاحية: المتلقي، التفاعل، ابن الشاطئ، التناص.

Abstract

The poem is characterised by the legitimacy of interpretation and reception because it contains many qualifications that require the presence of the receiver (reader) to interact with its form and show its components, the forbidden poem by a "sultan Act" of "Ibn Chattie" is characterised by its aesthetic and indicative sense which is open to present, past and future...ect.

This makes us care about the receiver reader who is always trying to read the poetic text carefully to reach the meaning.

Key words: receiver, interaction, Ibn Chattie, Intertextuality



مقدمة:

أول ما يواجه القارئ في النَّصِّ -أيا كان هذا النَّصِّ- العوالم المندرجة في رقعة خطية تلتقي فيها الكلمات بالرؤى الشعرية ما يولد متعة جمالية تعود بالأثر على كلا الطرفين، بل يمتد رحاها إلى صنع فضاءات جديدة في عالم التفسير والتأويل وهذا ما ينطبق فعلا وأصلا على نصّ ابن الشاطئ والذي سنحاول من خلاله تتبع البؤر التي يمكن أن يتجلى لنا فيها المتلقي بكل أبعاده.

إنّ "القصيدة الممنوعة بمرسوم..سلطاني...؟!!" ثرية بمواطن تستدعي حضور المتلقي للتفاعل مع بنية النَّصِّ وفك شفرته وغموضه، وإنّنا نلمس من خلالها دعوة مباشرة لإعمال الفكر في تحليل الأبيات الشعرية، لأنّه يستحيل بروز المعنى من القراءة الأولى والثانية وحتى الثالثة فهي لا تحمل دلالة جاهزة نظرا لوجود الحذف والبياض والفراغات وكذلك الإشارات الثقافية كالتناص، الرمز، وغيرها من الظواهر الأسلوبية/اللغوية التي انتهجها الشاعر في قصيدته، ولا يخفي على أحد أنّها من الظواهر المساعدة على سبر بواطن النَّصِّ الأدبيّ من طرف متلق بارع، من هنا يمكن أن نتساءل عن مدى مساهمة هذه الظواهر (الحذف، اللاتحديد، البياض، الكلمات المفتاح، الاستراتيجيات النصيّة... إلخ) في خلق تفاعل بين النَّصِّ والمتلقي؟ وهل يتبع المتلقي أنساق ثقافية بعينها في تحليل النَّصِّ الشعري؟.

برز في الساحة النقدية مناهج اهتمت بالقراءة والقارئ ودعت إلى إشراك القارئ في عملية إنتاج المعنى وهي البنيوية الفرنسية التي نادى ممثلها رولان بارت بموت الكاتب وولادة القارئ الذي يصنع معنى النَّصِّ، ونظرية التلقي عند النقاد الألمان من جامعة كونستانس وعلى رأسهم ياوس، وآيزر (1). ومنذ ذلك الوقت أصبح القارئ بمثابة كاتب يعيد نسج خيوط النَّصِّ من جديد لإخراجه في حلة جديدة ما جعل منه مشاركا في إنتاج إبداع جديد، وهو ما ذهب إليه سعيد يقطين يقول أنّ: "إنتاج الدلالة من خلال الذات (الكاتب/القارئ) يجعلنا نرى في النَّصِّ كتابة وقراءة معاً، أو قراءة والتجربة في آن" (2) وتمر

(1) - محمد عزام، رواية القارئ، مجلة الموقف الأدبي، ع366، اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001م، ص1.

(2) - سعيد يقطين، انفتاح النَّصِّ الروائي-النَّصِّ والسياق، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2001م، ص34.



عملية إنتاج المعنى من طرف المتلقي أو التفاعل القرائي بين المتلقي والنص على مستويين حسب محمد عزام وهما:

1- مستوى التلقي: وذلك من خلال تفاعل القارئ مع النص المقروء، حيث تمتلك الكتابة استراتيجيات تبرز حين ننظر إلى النص الأدبي كبنية تتفاعل داخل مجموعة من العناصر النصية، مع بنيات أخرى خارج نصية، باعتبار النص متوالية من العلاقات اللغوية التي تنتظر من القارئ ألا يقف عند حدود تفكيكها، وإنما يتجاوز ذلك إلى تأويلها، باعتبار النص بنية مفتوحة للتلقي والتأويل، وباعتبار أن في سلسلة النص كثيراً من الفجوات والانقطاعات التي ينبغي ملؤها من قبل القارئ.

2- مستوى إعادة إنتاج النص: وذلك بعد أن يتم القارئ من اكتشاف بنيات النص، وتحليل علاماته وإشاراته، ثم تأويله حسب مخزونه الثقافي، ووصله بالمعلومات الجديدة⁽³⁾، وهذا يصبح القارئ شريك استراتيجي لصناعة معنى النص من خلال جملة من المعطيات التي يوفرها له صاحب النص (البياض الحذف، التكرار التناص، الرمز...) في نصه فينتج نصاً جديداً أكثر إبداعاً، ومن عنوان البحث يتبين لنا أن هذه القصيدة تحاول إشراك المتلقي في فهم ونقل معانيها، وإبراز جماليات التفاعل الحاصل بين المتلقي والنص والمتعة الجمالية الناتجة عن هذا اللقاء، وهذا من خلال جملة من المعطيات أهمها:

أولاً: العنوان (العتبة الأولى للمتلقي)

يأتي العنوان في واجهة أي كتابة أدبية/فنية تجذب المتلقي للوقوف أمام هذا العمل الأدبي، لأنه يعدّ بمثابة مفتاح تأويلي يعرض مضمون النص بصورة موجزة؛ وانطلاقاً من عنوان القصيدة: الموسومة ب"القصيدة الممنوعة بمرسوم.. سلطاني...؟! حيث ينتهي هذا الأخير بثلاث نقاط وحذف وعلامتان للتعجب تتوسطهما علامة استفهام، يجد المتلقي نفسه أمام عنوان يكتنفه الكثير من الغموض والاستفهام ما يدفع به لمحاورته والبحث في طياته عن ملامح القصيدة ككل فهو يصنع ما يسمى في أدبيات التحليل النقدي سلطة التكثيف والتجريد الدلالي، فهذه القصيدة التي منعت من النشر بقرار سلطاني بلا شك أنها تتحدث عن أمور ممنوعة قانوناً خصوصاً وأن العنوان يعدّ المنفذ والعتبة الأولى للنص التي من

(3) - محمد عزام، سلطة القارئ في الأدب، مجلة الموقف الأدبي، ع377، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، 2002م، ص.



خلالها يرسم تصورا تقريبا متخذا من النَّصِّ الصغير(العنوان) قاربا للولوج إلى النَّصِّ الكبير ألا وهو القصيدة.

يمكك السلطان الشرعية في اتخاذ وإصدار القرارات والمراسيم غير أن قراره بمصادرة ومنع نشر وإذاعة هذه القصيدة بين العامة لا يمت للشرعية بصلة فقد أتبع الشاعر كلمة "مرسوم" بنقاط حذف تفيد أن هذا الأخير مشكوك في صحته ومردود أمره ويحتاج إلى إعادة النظر في حكمه من طرف المنصفين، كما أن فيها إشارة إلا أنه ينبغي التأكد من مصدر القائل، وفي هذا العنوان يصرح الشاعر بالقائل وهو السلطان وهذا ما يبعث على الحيرة والاستغراب والاستنكار من طرف الشاعر لذلك وضع علامتين تعجب تتوسطهما علامة استفهام فأني له أن يحكم على القصيدة بالمنع والحضر وهو المسؤول على ما يحدث في البلاد، مما لا شك فيه أن هذا الأمر الممنوع يتعارض مع مصالحه ويهدد أمنه واستقراره من طرف العامة، أو أنه سلطان تابع لسلطة أقوى منه هي من تلمي عليه الأوامر وما عليه إلا أن يضع الختم السلطاني لتكتسب القصيدة شرعيتها.

بديات لها شرر المقاومة: على عتبات فقد الوطن ووجع الفراق وقف "ابن الشاطئ" لينسج أبياتا تتضوع حزناً وألماً وحسرةً فهاهو يبث شكواه وآلامه ويصورها بأنها كأعاصير تقتلع كيانه وتبعثره، ويستنكر صمت العرب ويصفهم بالصم البكم أو بمن انتزع منه سمعه وبصره فلا ير ما يدور حوله في قوله:

تَدْكُو الْأَعَاصِيرُ فِي صَدْرِي وَتَنْفَجِرُ
يَا حَادِي الْعَيْسِ غَيْلَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ⁽¹⁾

لقد اشتدت الآلام في صدر الشاعر حتى أصبحت إعصاراً هائجاً يستحيل الوقوف في وجهه، فبعد صمت طويل انتفض الشاعر وانفجر شاكيا واقع الأمة العربية ملخصا حالها في قوله: "غَيْلَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ" أي: أن العالم العربي سُلبت واغتيلت عنده حاستي السمع والبصر فلم يعد يرى ويسمع ما يحدث في فلسطين، وقد أدرك الشاعر هذه الحقيقة الأليمة بعد أن تجول في بلدان عربية كثيرة، ففي وقت قريب كانت القضية مسؤولية الجميع وقريبة من أسماعهم وأنظارهم حريصين على معرفة كل صغيرة وكبيرة بين أسوار

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ط1، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، 2004م، ص15.



الأرض المباركة، وهذا القرب كان يطمئن أهل فلسطين فيستأنسون به، هذا ما حدا بالشاعر أن يشكوا شكوى عتاب لأنه لم يعد هناك من يساند ويخفف آلام أبناء الوطن.

نُفي الشاعر من وطنه الحبيب، فلم يبق بيده شيء إلا نداء لوعة وشوق وحنين يصرخ به قائلاً: يا حادي العيس...!! هل مرت قوافلنا يوماً؟ وهل ضحكت في رملها العصر؟⁽¹⁾

أيها الشاعر المفجوع ما الذي بقي لك وأنت تنادي وتسال غير شوقٍ يتلظى في قلبك لوطنٍ نُفيت منه يا حادي العيس، والحادي من يترنم بالحذاء والغناء كي تسير الإبل وتنشط للمسير الطويل ينادي الشاعر عليه نداء المتعجب المستنكر لسعادة الحادي بمسير قافلته، ليسأله بعد مناداته إن رأى يوماً قافلتنا تمر بأمان وسلام وتحظى بالملجأ والمنجاة في أرض سكنها أناس غيرهم، ويواصل الحادي غناؤه والشاعر يستصرخ قائلاً يا حادي العيس هل مرت قوافلنا بسلام منذ احتلال الأرض.

وإذا تتبعنا هذه الأبيات وجدناها في البيت الأول خالية من علامات الوقف، فالشاعر يستأنف كلامه في البداية ليعكس صورة الألم على أكملها، غير أنه لم يلبث على هذا الحال في البيت الثاني إذ يحتاج إلى علامتين للوقف: "... فاصلة يترث فيها النَّفس قليلاً لاستعادة الوعي، وعلامتان لتعجب تقطع النَّفس كلية!!!"، ليقوم وراءها بتساؤل جديد هل مرت قوافلنا يوماً؟ وهل ضحكت في رملها العصر؟ وليس هذا شأن البيت الأول بل القصيدة ككل تحوي مثل هذه الظاهرة الأسلوبية ذلك أنّ المواقف الصعبة جعلت من الكلام صعباً على قائله وثقيلاً على متلقيه، فراع ذلك الشعور من خلال صمت تمنى لو أنه يطول على أن يقول حقائق وينقل أخباراً تعيسة عليه كمتلق أول لها، وعلى المتلقي الثاني وهو القارئ، "وبما أنّ القراءة حوار بين النَّصِّ والقارئ، وهذا الأخير هو الذي يملأ ثغرات النَّصِّ وانقطاعاته بحيث يقوم باستكمال عملية الاستدلال على المعنى، فإنّ الاستجابة هي تجاوب المتلقي مع الإبداع الأدبي، وكلما قويت ثقافة المتلقي الفنية والعامة، قويت مشاركته في الفهم والاستيعاب"⁽²⁾.

(1) - المصدر نفسه، ص 15.

(2) - محمد عزام، سلطة القارئ في الأدب، ص 6.



وإننا نجد الشاعر يترك للقارئ فجوات يشركه فيها لقول ما يريد، فالشاعر يصنع في خياله قارئ يعرف بالقارئ الضمني: "...يتجسم في الدعوات والإشارات والتلميحات التي تحث القارئ على ملء فراغات النَّصِّ"⁽¹⁾ وهذا الانفتاح على النَّصِّ من طرف المتلقي يجعله يتفاعل مع النَّصِّ المكتوب ويقول تماما ما كان يود أن يقوله الشاعر وهو ما ذهب إليه إيزر (Wolfgang Iser) حين قال: "هكذا تصبح البنية الذهنية للقارئ أثناء فعل القراءة جزءا لا ينفصل عن بنية النَّصِّ نفسه"⁽²⁾.

ثانيا - الانفتاح على الماضي:

1. حضور التناس في القصيدة:

أدرك الشعراء المعاصرون أهمية استحضار الموروث الأدبي في نصوصهم الشعرية فراحوا ينهلون منها وفق ما يتماشى مع تجاربهم الإبداعية وتفيد "عملية استحضار الغائب في تحويل القارئ إلى منتج للنصوص، مما يجعلها مضاعفة الجدوى، فهي من ناحية تثير النَّصِّ إثراءً دائماً باجتلاب دلالات لا تُحصى إليه، ومن ناحية أخرى تفيد في إيجاد قراء إيجابيين يشعرون بأنَّ القراءة هي عمل إبداعي"⁽³⁾.

يعدُّ التَّنَاصُّ ظاهرة معقدة وصعبة الضبط "يعتمد في تميزه على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح"⁽⁴⁾ فحتى يستطيع المتلقي أن يستنبط التناس في النصوص عليه أن يكون ذا سعة معرفية، وقدرة عالية على التمييز بين أساليب النصوص ليخلق التفاعل بين النصوص سواء من ناحية العبارات أو الألفاظ أو السياق أو حتى من الناحية الشكلية، إنَّ التناس ظاهرة تستدعي النظر الثاقب والوعي الحاضر واتساع ثقافة المتلقي

(1) - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التواصل قراءة النَّصِّ الأدبي، دط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999، ص 92.

(2) - فولفانج إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، دط، ت حميد لحميداني، منشورات مكتبة المناهل المغرب، دت، ص 7.

(3) - محمد عزام، سلطة القارئ في الأدب، ص 7.

(4) - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناس، ط3، المركز الثقافي العربي المغرب، 1992م، ص 131.



حتى يستطيع التجاوب معه ثم تأويله حسب ما جاء به صاحب النصّ، ونتيجة لكلّ هذا كان "النصّ الشعريّ العربيّ المعاصر، يفترض من المتلقي كفاءة تلقيه فلا تُلقَى القصيدة للقارئ كالرغيف كما يقول أدونيس⁽³⁾ وهكذا يكون التناص من بين التقنيات التي يعمد الشاعر إليها ليجعل نصه أكثر ترميزاً وغموضاً فيجبر المتلقي على عرض كفاءته الفكرية والثقافية لاستنباط الجماليات والصور الموظفة فيه وبالتالي لا يكون النصّ الشعري لقمة سائغة يسهل الحصول عليها؛ لذا وجب على النصّ الشعري أن يخرج من بساطته ومباشريته وتلقائيته ودخوله في عالم الغموض والرموز بسبب حضور النصّ الغائب.

نجد ابن الشاطئ في هذه القصيدة يستعير الاسم الحرّ (أم أوفى*) من شعر زهير بن أبي سلمى "ليكون عنواناً للوفاء الذي ضرب جذوره في التاريخ أكثر من خمسة عشر قرناً.. ليمنحه لأمة الحب.. أمة الوفاء.. أمة النضال والجهاد.. الأمة العربية"⁽²⁾، هذا ما جعل الشاعر يقف "على أطلال الأمل العربي الجميل الذي يراود الجماهير العربية الأبية قبل نكسة حزيران 1967... بعد عشرين عاماً... كما وقف زهير بن أبي سلمى على أطلال زوجته (أم أوفى) التي هجرته بعد أن تزوج عليها... هجرته بوحى من عزة النفس التي تمتلئ بها أعماق المرأة العربية الحرة.. هجرته وهي العروب الوفية.. ولم يستطع زهير نسيانها ولا سلوها فكانت وقفته أبلغ تعبير عن وفاء لم يمّت فخلد ذلك في معلقته"⁽³⁾ واستلهم ابن الشاطئ أمّ أوفى كرمز تاريخي تكرر في عدة دواوين منها ديوان أبجدية المنفى والبندقية حيث ذكرها تقريباً 144 مرة وكانت أيضاً عنواناً لديوان "أمّ أوفى تتجدد رغم الليل الطويل" كما صرّح بأنّه استعملها كرمز في قصائده في مواضع مختلفة من ديوان أبجدية المنفى والبندقية منها:

المَرْأَةُ/الرَّمْزُ الَّتِي جَسَدُهَا فِي أُمَّ أَوْفَى.. قِبَلْتِي وَمَنَارِي⁽⁴⁾

ويقول: أَنْتِ رَمَزِي يَا أُمَّ أَوْفَى وَحَسْبِي فِي السِّنِينَ الْعِجَافِ أَنْ تُدْرِكِينِي...!!⁽⁵⁾

(1) - محمد جودت، تناصية الأنساق في الشعر العربي الحديث، ط1، عالم الكتب الحديث الأردن، 2011، ص38.

(2) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص10.

(3) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص10.

(4) - المصدر نفسه، ص43.

(5) - المصدر نفسه، ص208.



في الأبيات الأولى للقصيدة نجد الشاعر يفتح على المقدمة الطللية فيتناص مع معلقة زهير بن أبي سلى التي استحضرها في قوله:

وهَلْ ب (حَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ) مِنْ أَثْرِ ضَاوٍ.. تَمْوِجُهُ أَيَامُنَا الْغُرُّ..؟
 فَيَسْتَفِرُّ بِأَلَا زَيْفٍ مُطَلِّقَتِي جَهْرًا.. وَتَفْرِشُ أَهْدَابِي وَتَنْفَطِرُ..؟؟
 حَاوَلْتُ عِشْرِينَ عَامًا قَبْلَ فَاعْتَدَرْتُ حَزِينَةً.. وَشَوَانِي الْقَلْبِ وَالنَّظْرُ
 وَخَلَقْتَنِي أَعْدُ النَّجْمِ مُنْفَرِدًا فَلَا الْقَبِيلَةَ وَاسْتَنِي وَلَا الْكِبْرُ..؟!
 شَابَتْ ضُلُوعَ الْأَمَانِي دُونَ عَوْدَتِهَا وَضَيَّعْتَنِي رِيَا حِ الْجَهْلِ.. وَالذِّكْرُ..؟! (1)

ويتناص معه في قوله:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمَتَّلَمِّ
 وَدَارَ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَا جِيعٌ وَشَمِّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ
 بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرْأَمُ يَمْشِيْنَ خِلْفَةً وَأَطْلَاوْهَا يَهْضُنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ
 وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ
 أَنَأْفَى سَفْعًا فِي مُعْرَسِ مِرْجَلِ وَنُؤْيَا كَجِدْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَلَمِّ
 فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِيهَا: أَلَا أَنْعِمُ صَبَاحًا أَهْيَا الرِّبْعِ وَأَسْلَمِ (2)

ويظهر من خلال هذا التناسل أن ابن الشاطئ قد تفاعل مع التجربة الشعرية لزهير بن أبي سلى فأراد من خلالها أن يستمد تلك المعاني الجميلة التي تعبر عن وفاء زوجة لزوجها، وزوج لزوجته حين هجرته حتى تحفظ عزة نفسها ولم يستطع زهير نسيانها فكان يتردد على منازل الحبيبة أم أوفى ومنها (حومانة الدراج) التي كانت تقيم فيها وبقى كذلك حتى بعدما غيرت منازلها.

(1) -- المصدر نفسه، ص 15.

(2) - ديوان زهير بن أبي سلى، دط، دار بيروت للطباعة والنشر، 1982، ص 76/75/74.



وبعد مضي عشرين سنة.. يبقى زهير يبحث عن ديارها الجديدة وحين وجدها رفضت العودة معه، ما جعله يحزن عليها أكثر فخلدها في معلقة بقيت راسخة في الأذهان رغم مرور آلاف السنين، وقد جعلها ابن الشاطئ رمزا لقصيدته فكان هذا الرمز يحمل العديد من المعاني منها: وفاء العرب لفلسطين بصفة عامة ووفاء أبناء الوطن بصفة خاصة خصوصا الذين في المنفى فحبهم وشوقهم إلى الوطن أكبر، كما توحى أم أوفى إلى رفض النذل والظلم ورفض المشاركة في الزوج كذلك الحال عند الفلسطينيين الذين يرفضون المشاركة في فلسطين، بالإضافة إلى الرغبة في الحرية، وقد أضفى هذا التناص قيمة جمالية وبعداً إيحائياً وبلاغياً زاد النص روعة وجمالاً ومتعة.

كما يستحضر ابن الشاطئ حرب ذي قار وشخصيتين مهمتين في التاريخ الإسلامي هما المثنى بن حارثة الشيباني وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله:

يَا حَادِي الْعَيْسِ.. لَأَذِي قَارًا مَائِلَةً وَلَا الْمَثْنَى.. وَلَا حَامِي الْجَمَى عُمُرٌ⁽¹⁾

وفي هذا الحضور التاريخي نلمح رغبة الشاعر في عودة الحمية العربية من أجل الذود على الديار وتذكر الأمجاد العربية كانتصارات المثنى التاريخية وحماية المحارم والدفاع عنها كما كان يفعل عمر بن الخطاب، فكان لهذا الاستدعاء عمق تاريخي وديني عزز من دعوة المتلقي للتفاعل مع القصيدة وربط الأمس باليوم من خلال تذكير الأجيال بمآثر الأجداد ودعوتهم للسير على نهجهم. ويتجلى لنا الموروث في ذكره "حادي العيس، أوفى، عام الفيل" في قوله:

يَا حَادِي الْعَيْسِ.. نَعْلِي لَا تَطَاوَعْنِي أُغْرِبُ.. وَالْأ..؟! فَلَنْ يُجِدْنِكَ مُؤْتَمَرٌ
وَأَثْرُكَ نَزِيْفِي.. وَحَادِزٌ أَنْ تَلَوْتُهُ يَوْمًا فَكَمْ حَضَرَتْ (أَوْفَى) وَمَا حَضَرُوا
أُغْرِبُ بَعِيدًا طَوِيلَ الْعُمُرِ مُخْتَرِيًا زَيْفَ الشِّعَارَاتِ، (عَامُ الْفَيْلِ) مُقْتَدِرٌ..!!⁽¹⁾

فنجده في هذه الأبيات غاضبا ناقما على المؤتمرات العربية الفاشلة في اتخاذ وصنع القرار ما جعله يطردهم بعيدا ويعتبر أن للأقصى ربَّ يحميه تماما كما حتى البيت الحرام،

(1) - المصدر نفسه، ص 17.

(2) - ديوان زهير بن أبي سلمي، ص 17.



فتخاذل الأمة العربية على حماية الأقصى ثالث الحرمين ليس بالغريب على الأحفاد فقد ترك الأجداد قبل هذا الزمن الكعبة الشريفة دون حماية لما أراد أبرهة الحبشي هدم الكعبة وهو ما يعرف بعام الفيل، فالشاعر يدرك أن الذي حوى ونصر الكعبة يومها قادر أن يحى وينصر الأقصى اليوم قال تعالى "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَزْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)"⁽¹⁾ معتبرا كل المؤتمرات التي يقومون بها مجرد زيف وشعارات يتغنون بها تماما كما يفعل حادي العيس في صحبته للقافلة، أما أمّ أوفي فطلت وفيه دائماً الحضور، وهذا الحضور لأمّ أوفي لم يحكم على فلسطين بالغياب بل عزز حضوره من خلال عودتها إلى الوطن ومساندتها للثوار، فإذا كان الشعب الفلسطيني أعزل من السلاح وكانت إسرائيل تتمتع بقوة عسكرية متطورة، فإنّ الإرادة والإيمان بعدالة القضية سيجعل النصر بإذن الله، على يد أضعف مخلوقات الله (الطيور الأبايل) فقد استطاعت هزيمة جند أبرهة بعدته وعتاده، ولم تكن عدتها حينئذ سوى الحجارة المقدسة، تلك التي تسلح بها أبناء الانتفاضة في فلسطين، (إلا وحركها الأطفال والحجر..). فالانتفاضة تستمد قوتها وديمومتها من الحجارة، كما أنّ استحضار عام الفيل في البيت الشعري دعم المعاني العميقة التي أرادها الشاعر فزادت البيت رونقا وجمالا.

2. الانفتاح على الواقع:

أَطَلَقْتَ صَمَتَهَا أَمْ مَا تَزَالُ عَلَى عَهْدِي بِهَا تَتَوَارَى ثُمَّ تَعْتَدُرُ...؟؟
 أَجِبْ عَلَانِيَةً.. لم تبق ساكنة إِلَّا وَحَرَكَهَا "الأطفال والحجر" ..!!
 أَنَحْنُ فِي الْوَطَنِ الْمُحْتَلِّ مَلْحَمَةٌ وَأَنْتَ سَيْفٌ مِنَ الْآهَاتِ يَنْكَسِرُ...؟!
 أَأَنْتَ.. أَنْتَ طَوِيلُ الْعُمُرِ...؟ وَآسَفِي عَلَيْكَ.. مَاذَا جَرَى؟ هَلْ يَنْحَي الشَّجَرُ؟
 أَ يَخْرُجُ الشَّارِعُ الْعَرَبِيُّ مُنْفَعِلًا وَالنَّخْلُ فِي الرَّمَنِ الْمُقْلُوبِ يَنْتَحِرُ...؟؟
 أَوَاهُ مِنْكَ.. وَمِنْ تِلْكَ الْجُمُوعِ.. أَمَا تَبَقَّضْتُ..؟ لَيْتَهَا تَفَى وَتَنْدُرُ

(1) - القرآن الكريم بروية ورش، دط، دار الإمام مالك للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2012. سورة الفيل.



تِلْكَ الْجُمُوعَ عَلَى أَطْرَافِ حُبْرَتِهَا تَحْنِي الْجِبَاهُ.. وَتَغْفُو حَيْثُ تَسْتَعْرِ؟⁽¹⁾

الواقع الرئيسي الذي يبئره الخطاب الشعري هو الواقع المأسوي للقضية الفلسطينية حيث رصد لنا تخاذل العرب في نصره القضية من خلال تبنيهم لغة الصمت فوقف الشاعر موقف المتسائل المحتار عن صمتهم الطويل فمن خلال قوله "أطلقت صمتها أم ما تزال على عهدي بها تتوارى ثم تعتذر..؟؟" نستشف أن لغة الصمت دامت طويلا لذلك نجده يستفسر عن عودة الكلام للعرب ودلت عليها عبارة أم "ما تزال على عهدي بها تتوارى ثم تعتذر..؟؟" فقد ألف ابن الشاطئ هذا الصمت المهين القابع وراءه اختباء الأمة العربية على نصر القضية وبعد مدة من الزمن تقدم اعتذار العار من جديد؛ غير أن هذا الواقع العربي لا يقف حائلا بين تحرك القضية في الداخل فالأطفال يتحدثون بالحجارة أظني قوة في العالم فيصور لنا المشهد الفلسطيني بأنه ملحمة تتحدى وتتصدى لهذا المحتل الغاشم.

ليعود من جديد ويصف زعماء الوطن العربي بقوله: "أأنت.. أنت طويل العمر..؟ وا أسفي عليك.. ماذا جرى؟ هل ينحني الشجر؟" في هذا البيت نلاحظ أسلوب السخرية والتهمك فمن خلال ضمير المتكلم الذي جاء بصيغة الاستفهام "أأنت.. تتبعوها نقاط حذف تحيلنا حتما إلى شخص محدد يتوجه إليه بالعتاب غير أن مكانة المقصود تجعله يحذف كلمات الإهانة والعتاب الجارح فيعوضها بنقاط حذف تجعل المتلقي يتفطن للمعنى ويقول ما يود قوله الشاعر، ولا يتوقف عند هذا الحذف بل يواصل في تحديد هذه الشخصية بقوله "أنت طويل العمر..؟ هنا يضيف سمة جديدة لتمييز هذه الشخصية أكثر في قوله "طويل العمر" هذه اللفظة التي تحمل الكثير من دلالات فهي عبارة مزخرفة لها مالها من التنميق تستخدم في الثقافة العربية -الخليج العربي-، غير أن الشاعر أفرغها من شحنات الإيجابية وحصرها في شحنات السلبية والتي منها الاستهزاء متأسفا عليه وعلى ما آل إليه الحال العربي كما أنه يستنكر انحناء الأصل فهو بمثابة الشجر الشامخ الذي لا ينحني مهما مرت عليه عواصف هوجاء.

وفي لافطة منه لتحريك الضمير العربي في وجدان ملوك ورؤساء العرب (السعودية الجامعة العربية) يذكر الشاعر كيف انفعال الشارع الغربي متضامنا مع القضية رغم بعد

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبنديقية ص16.



اللّسان والعادات والتقاليد والهوية إلا أنّهم باسم الإنسانية تحركوا وانتفضوا، في حين العرب -وذكرهم باللفظة النخل على اعتبار أنّها خصيصة من خصائص التي يعرف بها العربي- فضلوا الصمت في هذا الزمن الذي قلبت فيه الموازين فقد أصبح العربي مهزوما بعد أن كان يعرف بالشجاعة والشهامة، وفي البيت الموالي يعلن تأفّفه منه ومن الجموع العربيّة ويقصد بها الجامعة العربيّة التي تعنى بالقضايا العربيّة والتي تستمر في نومها والركض وراء مصالحها ما جعله يتمنى فناءها واندثارها على هذا البقاء المخزي.

انطلاقاً مما سبق، يمكن القول أنّ القصيدة تفتّح على الواقع الخارجي للقضية ويتجلى ذلك في رصد الموقف العربي المخزي للقضية من خلال الواقع المؤلم الذي يعكس تخاذل الملوك والأمراء العرب، ومساهمة الغرب في نصرة الإنسان مهما كانت أعرافه وديانته ولغته.

3. الانفتاح على المستقبل:

كما تفتّح القصيدة على المستقبل (الاستشراف) وقد وفق الشاعر في جعل الأبيات الأخيرة بشريّ لعودة شرر المقاومة والتصدي للمحتل الغاشم من خلال تجسيد الرمز أمّ أوفي في قوله:

عَادَتْ إِلَى الْوَطَنِ الْمُحْتَلِّ وَارِقَةَ تُجَسِّدُ الزَّمَنَ الضَّأَوِيَّ.. وَتَبْتَدِرُ
هِيَ الضُّبْحَى.. أُمُّ أَوْفَى.. لِأَتَطَّأُ وَلِهَا
شَمْسٌ.. وَلَا تَدْعِي زُورًا.. وَلَا تَزُرُ
الْعُنُقُوانُ قَدِيمٌ فِي ذَوَائِهَا وَالْكَبْرِيَاءُ عَلَى أَحْدَاقِهَا قَدَرُ..!!
عَادَتْ تَعِيدُ إِلَى الثُّورِ هَيْبَتَهُمْ وَلَا يَرُوعُهَا بَغْيٌ وَلَا حَطَرُ
عَادَتْ شُمُوحًا.. وَأَطْفَالِي أَسِنْتُهَا

وَلَنْ يُرْخِزِحَهَا الْأَزْهَابُ وَالنُّدُرُ...!!⁽¹⁾

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبنديقية ص 17/18.



أراد الشاعر أن تكون نهاية القصيدة شعلة يستضيئ بها المجاهدين ودعوة صريحة منه أن النَّصْر لن يأتي من خارج فلسطين بل من أصغر طفل فلسطيني فهو وقود الحرب وذخيرتها التي لن تنفذ، استعمل الشاعر علامات الوقف لأنه عجز عن وصف أم أوفي وكفيمها شرفاً أن الوفاء التصق باسمها فكانت عنواناً للوفاء ورمزاً أبدياً ظل الشاعر وفيها له في كل دواوينه، كما استعمل أيضاً في هذه القطعة الشعرية البياض بتركه صدر وعجز البيت الموالي مرتين مرة حين أراد وصف أم أوفي ومرة أخرى حين وصف المقاومة وهي تحمل رايات التحدي والعزيمة على يد الأطفال، فهذين الموقفين عظيمين لدرجة أن الكلمات تعجز عن تبليغ الموقف أحسن تبليغ فيترك المجال مفتوحاً للمتلقي، وهذه هي ميزة النَّصْر المعاصر فإننا نجد "الأثار المعاصرة قد أدخلت تحويراً كبيراً على وظيفة القارئ عندما جعلت منه طرفاً في النَّصْر توكل إليه مهمة المشاركة في تأليفه"⁽¹⁾ فعن طريق الإشارات والتلميحات وغيرها يتفاعل المتلقي مع الأبيات الشعرية التي يضمها الشاعر لنصه فهتدي المتلقي إليها ويبوح كوامن النَّصْر الشعري ومكوناته، وفي الأبيات السابقة نجد أن أم أوفي قد أدركت في نهاية القصيدة بأنَّ الوطن العزيز لن يعود إلا بالعزيز دم آباءنا وأبناءنا!! وأنَّ النَّصْر لن يأتي من الخارج بل وقوده أطفال الحجارة من أبناء الوطن الغالي.

ووردت في الأبيات الأخيرة ألفاظ تدل على عودة "أم أوفي" إلى وطنها المحتل لتذكرهم بالزمن الجميل/الماضي ولتبت فيهم روح التحدي في المستقبل لأنَّ "العنفوان والكبرياء والشموخ من صفاتها وهذه الألفاظ هي: "عادت/ تعيد/ تجسد/ تبتدر/ لن يرحلها".

إنَّ انفتاح القصيدة في آخرها على المستقبل شكل منحى تنبؤي، خصوصاً وأنَّ النَّصْر الشعري مزود بالرمز والتناص ما أدى به إلى التنبؤ والاستشراف باندلاع الثورة وعودة المقاومة، والتفاؤل بالمستقبل الجميل.

ثالثاً-دوال أُخر:

1-حضور المرأة في القصيدة:

كان لحضور المرأة في القصيدة حضوراً قوياً وفعالاً حيث جعلها الشاعر محوراً أو بؤرة القصيدة من بدايتها وحتى نهايتها فهي من تنسج خيوط القصيدة وتتبع تطورها وقد انطلق

(1) - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، ص39.



الشاعر من قصة زهير بن أبي سلمى مع زوجته أم كعب واستعار منه الاسم كاملاً "أمّ أوفي" لأنه في موقف يحتاج لمعاني وصفات هذا الاسم ويطمح الشاعر من خلاله أن يعيد المعاني الحقيقية للوفاء بين الأمة العربية الواحدة؛ في بداية القصيدة يعلن الشاعر رغبته في تتبع آثار المرأة الأولى في حياته والمرأة الأولى تعنى له الوطن الأم فالشاعر بعد النفي أصبح حاله كحال زهير في فقدانه الزوجة الأولى فهم يشتركون في الوطن الأول والزوج الأول وكلاهما يتضرع آلام البعد والفراق فهو حين يتحدث على لسان زهير يتحدث عن ذاته المفجوعة لفقدان وطنه.

لقد صور الشاعر المرأة بأنها المؤنس الوحيد والمخفف عن آلامه يقول:

رَجَعْتُ مِنْ رِحْلِي وَالصَّدْرُ مُنْقَبِضٌ وَالْهَيْمُ يَأْكُلُ أَعْصَابِي وَيَنْتَشِرُ
وَلَيْسَ فِي جَعْبَتِي شَيْءٌ يُزَوِّدُنِي إِلَّا كِ حِينَ يَطُولُ اللَّيْلُ وَالسَّفَرُ..!!

نِعْمَ الصَّدِيقَانِ فِي بَحْرِ الظَّلَامِ..أَنَا وَأَنْتِ..نِعْمَ جُنُونَ المَوْجِ..وَالسَّهْرِ⁽¹⁾

تعتبر المرأة الرفيق والأنيس للرجل فهو يبثها شكواه ومصائب الدهر وهي المخلوق الوحيد الذي يحسن الاستماع ويقدر الأمور، أدرك الشاعر هذا وهو يعلم أن هذا المخلوق الضعيف سيمنحه الاستمرارية ويحثه على المضي قدما نلمح هذا من خلال قوله: "وليس في جعبي شيء يزودني إلاك حين يطول الليل والسفر.." فمهما طال الليل والسفر فإنها تظل ملهمته الأولى هي من تزوده بالمعارف والأمان، كما أنّها الصديقة الوفية في ظل معارك/خيانة الحياة ومآسيها.

وَأَتْرُكُ نَزِيْفِي..وَحَازِرُ أَنْ تَلْوِيْتُهُ
يَوْمًا فَكَمْ حَضَرْتِ (أُوفِي) وَمَا حَضَرُوا
أُغْرِبُ بَعِيدًا طَوِيلَ العُمُرِ مُخْتَرِنًا
زَيْفَ الشِّعَارَاتِ، (عَامُ الفِيلِ) مُقْتَدِرًا..
هَذَا قَدْ تَعَرَّتْ عَلَى الأفَاقِ سَيِّدَةٌ
عَظِيمَةٌ بُعِثَتْ فِي صَدْرِهَا (مُضْرُ)
عَادَتْ إِلَى الوَطَنِ المُحْتَلِ وَارِفَةٌ
تُجَسِّدُ الرِّمَنَ الضَّأَوِي..وَتَبْتَدِرُ
هي الضُّحَى..أَمْ أُوفِي..لَا تُطَاوِلُهَا
شَمْسٌ..وَلَا تَدْعِي زُورًا..وَلَا تَزُرُ

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندية ص16.



وَالكِبْرِيَاءُ عَلَى أَحْدَاقِهَا قَدَرٌ..!!
وَالْعُنْفُونَ قَدِيمٌ فِي ذَوَائِهَا
وَلَا يُرَوِّغُهَا بِنُغْيٍ وَلَا خَطْرُ
عَادَتْ تَعِيدُ إِلَى الثَّوَارِ هَيْبَتَهُمْ
فَيَصْرُخُ الْحَجْرُ الظَّامِي: أَنَا الشَّرُّ..!!
تَجَذَّرُ الْحَبُّ فِي أَعْمَاقِ قَرْنَتِنَا
وَلَنْ يُزْخَرْحَرَهَا الْأَزْهَابُ وَالنُّدْرُ...!!⁽¹⁾
عَادَتْ شُمُوحًا.. وَأَطْفَالِي أَسِنَّتُهَا

تتجلى لنا المرأة في هذه القصيدة في صورة الوطن فهي المعطاء الدائم والشامخ، واستطاع الشاعر أن يرسم لنا كيف تساهم في شحن الهمم وتحريك النفوس لنصرة الوطن فنحن نلمحها في نهاية القصيدة بمثابة الأم التي تدفع أبناءها إلى المقاومة وتحثهم على الثبات والإقدام.

2- كثرة الأسئلة في القصيدة:

لقد خلقت المأسي المتكررة والزلازل السياسية التي يعانيها الفلسطيني روحاً متناقلة بالألم المصحوب بالضيق والتدمير والعديد من الأسئلة التي تجتاح خياله، والقصيدة مليئة بالتساؤلات المكثفة أراد الشاعر من خلالها أن يلفت نظر المتلقي منها قوله:

يا حادي العيس...!! هل مرت قوافلنا يوماً؟ وهل ضحكت في رملها العصر؟⁽²⁾

حيث يبدأ الصياغة بتركيب ندائي "يا حادي العيس" والذي يمهده به لصياغة تساؤلية تخاطبية بقوله هل مرت قوافلنا يوماً؟ وهل ضحكت في رملها العصر؟ فنجدده يسأل ولا يجيب ليس عجزاً منه على الإجابة وإنما رغبة منه في ترك الإجابة على عاتق المتلقي الذي يأمل منه أن يجد له إجابات شافية تريحه من ثقل كل تلك التساؤلات والاستفهامات المبتوثة في القصيدة والتي منها قوله:

أَنْتِ فِي الْوَطَنِ الْمُحْتَلِّ مَلْحَمَةٌ وَأَنْتِ سَيْفٌ مِنَ الْأَهَاتِ يَنْكَسِرُ..؟!
أَنْتِ.. أَنْتِ طَوِيلُ الْعُمُرِ..؟! وَ أَسْفِي عَلَيْكَ.. مَاذَا جَرَى..؟ هَلْ يَنْعِنِي الشَّجَرُ؟
أَيَخْرُجُ الشَّارِعُ الْعَرَبِيُّ مُنْفَعِلًا وَالنَّخْلُ فِي الرِّمَنِ الْمَقْلُوبِ يَنْتَجِرُ..؟؟

(1) - المصدر نفسه، ص 17.

(2) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبنديقية، ص 15.



أَوَاهُ مِنْكَ.. وَمِنْ تِلْكَ الْجُمُوعِ.. أَمَّا تَيَقَّظْتُ..؟ لَيْمَهَا تَفَى وَتَنَدَّرُ

تِلْكَ الْجُمُوعِ عَلَى أَطْرَافِ حُزْبَتِهَا تَحْنِي الْجِبَاهُ.. وَتَغْفُو حِينَ تَسْتَعِرُ!؟⁽¹⁾

في هذه الأبيات يتساءل عن الواقع الذي آل إليه الوطن العربي من الانقسام والضياع والتخاذل اتجاه القضية خصوصا تواطأ الرؤساء والحكام ودلّ على ذلك قوله "أنت طويل العمر..؟ فنقاط الحذف وعلامة الاستفهام توحى لنا بحيرة وتساءل هل أنت فعلا ملك لك من الهيمنة والقيمة والوزن كما كان أسلافك؟ أم أنه مجرد اسم ارتبط بك؟ كما تعكس صيغة التساؤل "وا أسفي عليك..ماذا جري؟ هل ينحنى الشجر؟" هذه الصيغة يأتي جوابها في صيغة تساؤلية تضيف حالة انكسار أخرى في قوله: "أخرج الشارع الغربي منفعلا والنخل في الزمن المقلوب ينتحر..؟" أما في قوله:

وَعِنْدَمَا تَرْتَوِي مِنْ نَهْرِ شَهْوَتِهَا تَصُوعُ لَأَفْتَةً سَمْرَاءَ تَنْفَجِرُ:

بِاسْمِ الْمَعَانَاةِ.. وَالْقُرْبَى.. وَمُصْطَلِحٍ مِنَ الدُّمُوعِ الْعَوَالِي.. يُرْفَعُ الْحَدْرُ..!؟⁽²⁾

فبعد الخيانة والنسيان يتذكرون الإحسان لذوي القربى ويمنون عليهم بالرفع الحصار وبعض المساعدات مما يجعله يتدمر من هذا الواقع المرير الذي ضاعت فيه أمجاد الأمة العربية والإسلامية فنجدته يتحصر عليها بقوله:

يَا حَادِي الْعَيْسِ.. لَا ذِي قَارٍ مَائِلَةٌ وَلَا الْمُثْنَى.. وَلَا حَامِي الْجَنَى عُمُرُ⁽³⁾

فيتأسف لفقدان المقومات العربية الأصيلة التي كان العربي يعيش فيها ومنها الرجولة والدّود على البلاد والمحارم بينما اليوم أصبحت مجرد ذكري لا تتجاوز حد الافتخار باللسان لأننا أصبحنا أصحاب أقوال لا أفعال ولأنّ أم أوفي حادت عن هذا الواقع المخزي؛ فأصبحت عنيدة متمردة وخارجة عن قانون الذل والهوان نجد الشاعر في الاستفهام الموالي يقف على أطلال أم أوفي (حومانة الدراج) رغبة منه في ايجاد أثر يستنير به ليبعث منه شر المقاومة وليعيد الزمن الجميل ويتجلى ذلك في قوله:

(2) - المصدر نفسه، ص 15.

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبنديقية، ص 16.

(2) -- المصدر نفسه، ص 17.



وهَلْ ب (حَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ) مِنْ أَثْرِ ضَاوٍ.. تُمَوِّجُهُ أَيَامُنَا العُرُ...؟⁽¹⁾

يحاول الشاعر في هذا البيت جس النبض العربي اتجاه القضية فهل بقي العرب أوفياء لفلسطين/القدس بعد نفي أهلها منها صحيح أن أم أوفي هجرت زوجها بعد أن تزوج عليها إلا أن الفلسطيني هَجَرَ منها كرها وغصبا ومع ذلك يبقى حنينه إلى وطنه يشده إلى تتبع كل أثر يتجه به إلى الوطن الأم.

تعهد الشاعر الإكثار من الأسئلة فجعلها ظاهرة تحتاج إلى الدراسة والتأويل من طرف المتلقي فهو يسأل أسئلة كثيرة ومتنوعة ولا يكاد ينتهي من سؤال حتى يخوض في آخر لآئته يعكس واقع الحال المتأزم، والذي تغيب فيه الشفافية وتندعم فيه الرؤية الواضحة؛ فطبيعة السؤال الغموض وي طرح عادة للبحث عن حلول جادة والشاعر في هذا المقام يعلم أن هذه الأسئلة ليست تعجيزية إنما هي استفزازية للإجابة والإقرار بالواقع المعاش لفلسطين وهذا التجاوب مع الأسئلة من طرف المتلقي يولد متعة في تفاعل مع النص الشعري.

3- التكرار:

كما كان للتكرار بعض الكلمات دور هام في إيصال المعنى وتأكيده من خلال تكراره في مواقع عدة منها: تكرار اسم العلم "أم أوفي": ذكرت مرتين في قوله:

وَأَثْرُكَ نَزِيفِي.. وَحَاذِرُ أَنْ تَلْوِيَهُ يَوْمًا فَكَمْ حَضَرْتَ (أُوفِي) وَمَا حَضَرُوا

هي الضحى.. أم أوفي.. لا تطاولها شمس.. ولا تدعي زورا.. ولا تزر⁽²⁾

كما دلت عليها أيضا بعض الكلمات وهي: مطلقتي، فاعتذرت، عودتها (التاء تعود على أم أوفي) سيدة الإلك، أنت، هي...

ما نستشفه من هذا التكرار أن الشاعر متألم، وفي تكرار "أم أوفي" يجد سلواه في تعظيمها والتنويه بشأنها وفي هذا النص أم أوفي لم تذكر لذاتها وإنما ذكرت لصفاتها فوظف الشاعر اسمها لما يوحي به (اسمها) من قيم خالدة (الوفاء، الشجاعة،

(1) -- المصدر نفسه، ص 15.

(2) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبنديقية، ص 17.



الكبرياء.. كما ينم هذا التكرار عن إلحاح الشاعر على إبقاء هذه الذات (التي هي عبارة عن قيم) خالدة في أذهان ونفوس المتلقين.

من الألفاظ التي تكررت في القصيدة نجد "يا حادي العيس" والتي تكررت (5) خمس مرات في مواضع متعددة:

1- تَدُكُو الْأَعَاصِيرُ فِي صَدْرِي وَتَنْفَجِرُ يَا حَادِي الْعَيْسِ غَيْلَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

2- يَا حَادِي الْعَيْسِ...!! هَلْ مَرَّتْ قَوَافِلُنَا يَوْمًا؟ وَهَلْ ضَحَكَتْ فِي رَمْلِهَا الْعَصْرُ؟

3- يَا حَادِي الْعَيْسِ.. لَا ذِي قَارٍ مَائِلَةٌ وَلَا الْمُثْنَى.. وَلَا حَامِي الْجَحَى عُمُرُ

4- يَا حَادِي الْعَيْسِ كَمْ جَرَّحَتْ ذَاكَرْتِي وَكَمْ تَطَاوَلْ فِي بَرْدِيكَ مَدَّكَرُ..!!

5- يَا حَادِي الْعَيْسِ.. نَعْلِي لَا تُطَاوِعُنِي أُغْرِبُ.. وَالْأَيُّ؟! فَلَنْ يُجِدِيكَ مُؤْتَمَرٌ⁽¹⁾

ومن المعلوم أنّ حادي العيس هو المؤنس للقافلة بصوته العذب، أما تكراره في هذه القصيدة فقد نحا منحى آخر وهو الاستهزاء بالرؤساء والحكام العرب الذين لم يتجاوز حديثهم الدندنة والطرب في تلك اللقاءات الحافلة بأشياء وأشياء.

في الأبيات الأخيرة للقصيدة تتكرر لفظة "عادت" في ثلاث مواضع هي:

عَادَتْ إِلَى الْوَطَنِ الْمُحْتَلِّ وَارِقَةَ تُجَسِدُ الزَّمَانَ الضَّأْوِي.. وَتَبْتَدِرُ

وفي قوله: عَادَتْ تَعِيدُ إِلَى الثُّوَارِ هَيْبَتَهُمْ وَلَا يَرَوْغُمَا بَغِيٍّ وَلَا خَطَرُ

وأيضاً: عَادَتْ شُمُوحًا.. وَأَطْفَالِي أَسْتَهْمَا وَلَنْ يُرْخِزَحَهَا الْأَزْهَابُ وَالْتُدْرُ...!!⁽²⁾

والهدف من الانتقال نحو توجه جديد للقصيدة؛ هو العودة للمواجهة وشحن همم الثوار والوقوف في وجه المحتل الغاشم، فمن معاني العودة: الاستمرارية، الإقدام، الثقة.. بالإضافة إلى الاعتماد على اللحمة الفلسطينية دون الاتكال على الحكام العرب الذين

(1) - ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 17.

(2) - المصدر نفسه، ص 18.



استهزأ بهم من خلال توظيفه للفظة طويل العمر مرتين في القصيدة مصحوباً بنقاط الحذف وعلامات التعجب والاستفهام والتي تحمل معاني الانفعال. يقول:

أ أنت.. أنت طَوِيلُ العُمُرِ..؟ وا أسفي عليك.. ماذا جرى..؟ هل يُنَحِّي الشَّجَرُ؟

ويقول: أَعْرُبٌ بَعِيدًا طَوِيلُ العُمُرِ مُخْتَرِنًا زَيْفَ الشِّعَارَاتِ، (عَامُ الفِيلِ) مُقْتَدِرٌ...!!⁽¹⁾

لقد وظف الشاعر التكرار لبعض الكلمات التي لها وقع كبير على المتلقي وهي تلخص القصيدة في هذه المحاور:

"أم أوفي" فتكراره لها " يعنى الوفاء ورغبة منه في عودة الوفاء العربي للقضية.

" حادي العيس " يمثل الحكام العرب الذين أصبحوا يعرفون بشعاراتهم الجوفاء.

" طويل العمر " الاستهزاء والتقليل من قيمة الحكام فهذه الكنية تحمل معنى مضاد فالشاعر يتمنى زوال أعمارهم فما جدوى بقاءهم إذا كانوا لا ينتصرون للقضية.

" عادت " تلخص الهدف الأساسي التي بنيت عليه القصيدة، فالشاعر يدعو لعودة المقاومة الداخلية ولهذا السبب منعت القصيدة من النشر، كما أنه وظف هذه الكلمة وكررها في آخر القصيدة ليبعث برسالة إلى الحكام العرب بأن النصر سيكون من أعماق فلسطين سواء حضرتهم أو تخلت عن المشاركة، والانتفاضة مستمرة بكم أو بدونكم ولن تنتظر ميلاد مراسيم جديدة تدعو لنصرة القضية.

في الختام يظل المتلقي يسعى لإيجاد طرق مختلفة لولوج مكونات النص الشعري والتفاعل معه، وفي هذه القصيدة يمكن إجمال ما تحمله في طياتها ما يلي:

-دعوة الأمة العربية والإسلامية إلى دعم القضية الفلسطينية ومساندتها تماما كما فعلت أم أوفي.

-استفاقة الحكام العرب من سباتهم الذي طال أمده، وهذه الحقيقة يستطيع المتلقي الوصول إليها من خلال الحذف والرمز الذي تفاعل معه فولد متعة في تلقي وتأويل النص الشعري.

(1)-المصدر نفسه، ص17.



-إنّ القصائد الوطنية والسياسية تطرح ذاكرة الحضارة نفسها ويظهر التراث بحضور قوي من خلال الإشارات إلى أعلام كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والمثنى وأمّ أوفى وحادي العيس....

-عدم بوح القصيدة للكثير من الأمور بترك البياض، والفراغات، واستعمال التناس كانت كدعوة من الشاعر للمتلقي للمشاركة في القضية.

-استعمل الشاعر الكثير من علامات الوقف منها: علامة الاستفهام، علامة الانفعال مثل: "التعجب النداء" نقط الحذف، نقط التوتير.

1. قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم بروية ورش، دط، دار الإمام مالك للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2012.

-ابن الشاطئ، أجدية المنفى والبنديقية، ط1، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، 2004.

-محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناس، ط3، المركز الثقافي العربي المغرب، 1992.

-محمد عزام، رواية القارئ، مجلة الموقف الأدبي، ع366، اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001م.

-محمد عزام، سلطة القارئ في الأدب، مجلة الموقف الأدبي، ع377، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، 2002.

-محمد جودت، تناصية الأنساق في الشعر العربي الحديث، ط1، عالم الكتب الحديث الأردن، 2011.

-عبد الناصر حسن محمد، نظرية التواصل قراءة النص الأدبي، دط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999.



- سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي-النصّ والسياق-، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2001.

- فولفانج إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، دط، ت حميد لحميداني، منشورات مكتبة المناهل المغرب، دت.

- ديوان زهير بن أبي سلمى:، دط، دار بيروت للطباعة والنشر، 1982

